

هو العليم

لماذا صح أن تغتر بجّبنا الله دون أعمالنا؟

قد لأنحرافاتٍ معاصرة في فهم الدين والوحدة

شرح دعاء أبي حمزة الشمالي - سنة ١٤٢٧ هـ - الجلسة الخامسة عشرة

محاضرة القاهما

آية الله الحاج السيد محمد محسن الحسيني الطهراني

قدس الله سره



@MadrasatAlwahy

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وللعن على أعدائهم أجمعين

«معرفي يا مولاي دليلي عليك وحبي لك شفيعي إليك وأنا واثق من دليلي بدلائك
وساكين من شفيعي إلى شفاعتك»

لماذا لا ينبغي حساب الأعمال عند الله؟

تقدّم للرفقاء أئمّة في مقام العرض والحساب، لا ينبغي للإنسان أن يحيّس بعمله عند الله تعالى، لأنّه إذا أراد حقاً أن يحيّس بهذا العمل، فإنّ الله تعالى سيُدقّق في الأمر كثيراً ويُحااسبه على الصغيرة والكبيرة وهو يُدقّق النظر جيّداً. وإن لم يُرد ذلك، وأراد أن يحيّس بأعماله مجازاً، فمن الأفضل ألا يفعل. حقاً، إذا أراد الإنسان أن يعرض عمله على الله تعالى، فإنّ الله تعالى سيُضيّع إصبعه على ذلك العمل نفسه، ويُظهر النقاط التي كان الإنسان على علم بها وغضّ الطرف عنها وأغمض عينيه وتجاوّزها، أو تلك الأمور التي كانت خفيةً جداً لدرجة أنه ربما لم تَظُهر له، سُيُّظِّهُها الله تعالى للإنسان ويُوضّح أنّ هذا العمل لم يكن معلوماً أنه كان لوجه الله أم لغيره.

قصة حاولة توسيعة المسجد: مثال على حساب الأعمال يوم القيمة

أتذكر أنه كان المرحوم العلامة فيما مضى بحاجة إلى مكان لبعض الأمور والأعمال والأنشطة التي أراد القيام بها. فذهبنا مع أحد الذين كانوا في المسجد عند المرحوم العلامة إلى أحد المسؤولين عن بعض الأماكن، وجلسنا وتحدثنا معه حول هذا المكان الواقع خلف المسجد، وقلنا له إن هذا المكان لا فائدة منه الآن، ولسنوات طويلة لم تسكن فيه سوى عائلة واحدة، وهناك بعض الحيوانات فيه، وهو تابع لوقف، وهناك بعض الموارد التي لم تستخدم حتى الآن ومتروك منذ عشرات السنين، فقُم بضممه إلى المسجد حتى تستفيد الأنشطة التي يقوم بها المسجد من منافعه، وكذلك يستفاد من هذا المكان الموحش والمتروك. على أي حال، تم الحديث وتم الاتفاق على متابعة الموضوع. كان هذا في نفس الوقت الذي بدأ فيه المرحوم العلامة رضوان الله عليه بعض الأنشطة وكان من المقرر القيام ببعض الأعمال واتخاذ بعض الإجراءات الثقافية، ونشرت في ذلك الوقت أيضا رسالة، لا أعلم هل رأها الرفقاء أم لا، وشخصية المرحوم العلامة لم تكن مجهولة، بل كانت معروفة بين الناس، والذين راجعناهم كانوا جميعاً من أصدقائه، وكانت بينهم علاقة وودة منذ القدم، وكان هناك تواصل وزيارات متباينة، فأحياناً يأتون إلى منزلنا وأحياناً نذهب إلى منزلهم، ولم يكن الأمر مجهولاً.

وخلصة القول، في البداية قطعت وعود بالمساعدة، ولكن بعد فترة، وعنده متابعة الموضوع، اتضح أن الأمر يسير في اتجاه آخر، وأن هذه الفرصة لن تتأخر، وتتأكد أن هذا الأمر لافائدة منه، وبقي ذلك المكان لسنوات طويلة دون استخدام، فلا تتصوروا أنه تم استغلاله، في حين أن هؤلاء أنفسهم طبعاً في أماكن أخرى وإجراءات أخرى وأعمال أخرى ومسؤوليات أخرى [يسعون في إنجاز المشاريع]، في يوم القيمة يسألهم الله تعالى: نحن فعلنا هذا، هل فعلتم أنتم هذا؟ فلماذا منعتم العمل الفلافي؟ لماذا؟ وأنتم كنتم تعرفون أولئك القيمين عليه وكتنتم على علم بنبيتهم الحسنة، فمم كان الخوف؟ هل كان الخوف من أن يتقدّم أحد ما خطوة؟ ولكن كان واضحاً أن القضية هي هذه، كانوا يقولون صمنيًّا: لا تُتابعوا الأمر فلا فائدة منه. البعض يتساءل لماذا لم يتدخل هو في الأمور؟ ماذا كان يريد أن يفعل؟ على الأقل أنا أعلم ما هي الأعمال

التي أراد القيام بها ولكنّه لم يستطع . والله تعالى يوم القيمة سيأتي بكل شيء ويَضْعُه أمامنا . يا الله نحن بنينا المكان الفلافي ، والمجمّع الفلافي .

- لماذا بنيتها؟

- بنيناه لك .

- بنيتهم لي؟ فلماذا منعتم القضية الفلافي؟ ألم يكن فلان يريد أن يقوم بالعمل الفلافي من أجلي؟ فلماذا لم تسمحوا له ووضعتم العرافقاً وقلتم إنه يريد أن يقوم بأعمال ضد البعض؟ فإن كان يريد أن يفعل شيئاً فليفعل تحت برنامجنا!

فإذن الظاهر جيد، لافت للنظر، أعمال ذات بريق وجاذبية جيدة جداً، ممتازة جداً . عملاً، ذكرت لكم مثلاً واحداً، والأفضل لا نفتح تلك الحقيقة فهناك الكثير الكثير .

قصة أخرى: عائق العمل في تدوين الدستور

وفي أحداًث أخرى قيل إنَّ على الجميع أن يأتوا ويدخلوا الساحة ويتخذوا إجراءات بشأن القضايا ولا يتركوا الساحة فارغةً ليأتي المنافقون والمنحررون وغير الملتزمين ويسطروا عليها، وذلك في أحداًث تدوين الدستور، فليأيُّ العلماء ويديروا هذه الأمور، وكان الأمر كذلك حقاً . فالنداء الذي كان يطلق في هذا الصدد بأن تعالوا ودبّروا الأمور، فالآخرون ينشطون . حينها قال لي المرحوم العلامة رضوان الله عليه بنفسه: إنني شعرت بالواجب والتَّكليف الشرعي في أن أدخل في هذه القضايا، وقدّمت اسمي وصورتي مع عدد آخر من السادسة، ثم جاء البعض ومنعوا الأمر، ووصل الأمر إلى درجة أنَّ المرحوم العلامة قال لي: رأيت أنَّ التقدُّم أكثر من هذا يضر بالإسلام . يصل الأمر إلى درجة أنَّ الإقدام أكثر من هذا يضر بالإسلام، وقال: فانسحبا وقلنا: مهما كان من المقرر أن تسير عليه القضية فلتسر على ذلك النحو، ونحن أيضاً سنشارك ونصوت ونساعد ونساند ونؤيد الإيجابيات ونسعى لرفع نقاط الضعف والنقص، وبهذا المقدار نؤدي الواجب .

فأولئك الذين كانوا في هذه الأحداث يحسبون الآن في الآخرة . لقد جئتكم وقمتم بالعمل الفلافي و فعلتم هذا وهذا، لمن؟ لأجل الله! لكي نخدم، نحن عشاق الخدمة وهذه الأمور؟!

فَلِمَّا قُلْتُمْ لِلشَّيْدِ فُلَانٍ إِنَّ الشَّيْدَ فُلَانًا لَا يَبْغِي أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الْأَمْوَارِ؟ لِمَاذَا؟ أَلِيَسَ الْأَمْرُ لِللهِ؟
إِنَّهُ حِسَابٌ، وَاللهُ تَعَالَى يُحِسِّبُ.

قصة المرحوم دستغيب والمرحوم العلامة: كل ما فعلناه لم ينجح!

رَحِيمُ اللَّهِ السَّيِّدُ دَسْتَغِيبُ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، رَحِيمُ اللَّهِ، جَاءَ إِلَى الْمَرْحُومِ الْعَلَامَةِ وَقَالَ:
فَلَتَكُنْ أَنْتَ مَكَانِي [فِي الْمَجْلِسِ].

فَقَالَ الْمَرْحُومُ الْعَلَامَةُ: لَنْ يَقْبَلُوا!

فَقَالَ السَّيِّدُ دَسْتَغِيبُ: أَنَا سَأَفْعَلُ هَذَا.

فَقَالَ هُوَ أَيْضًا: حَسَنًا، اذْهَبْ إِلَى الْآنَ لَنَرَى هَلْ أَنَا الصَّادِقُ أَمْ أَنَّتِي!
أَتَذَكَّرُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِنَا فِي طَهْرَانَ، وَكَانَتْ عِبَارَتُهُ: يَا سَيِّدَ مُحَمَّدَ حُسَينَ، كُلُّ مَا فَعَلْنَاهُ لَمْ
يَنْجُحْ وَلَمْ يَنْجُحْ وَلَمْ يَنْجُحْ.

ضرورة إخلاص العمل: كيف يكون الناقد بصيراً بصيراً؟

«وَأَخْلِصِ الْعَمَلَ فَإِنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ بَصِيرٌ»^١، أَخْلِصْ عَمَلَكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَضَعُ هَذَا الْعَمَلَ فِي
مِيزَانِ النَّقِيدِ وَالتَّقِيِّيمِ لَيْسَ مِثْلَكَ، بَلْ لَدِيهِ جِهازٌ آخَرُ، لَدِيهِ مُعَدَّاتٌ أُخْرَى لَا خَتَّابٌ لِالْعَمَلِ
وَمِيزَانٌ إِلْخَاصِهِ وَصِدْقِهِ، وَلَدِيهِ حِسَابٌ آخَرُ. أَخْلِصِ الْعَمَلَ، أَخْلِصْ عَمَلَكَ، أَخْلِصْ نِيَّتَكَ.
إِنَّ الرُّفَقاءَ يَذَكُّرُونَ، فَقَدْ ذُكِرَتْ فِي جَلَسَاتٍ سَابِقَاتٍ أَمْوَارًا حَوْلَ الإِلْخَاصِ فِي النِّيَّةِ فِي أَحْدَاثِ
جَهَادِ الْمَرْحُومِ الْعَلَامَةِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَقَلْتُ هُنَاكَ إِنَّ الْمِعْيَارَ وَالْمِلَالَ لِحَرَكَةِ الْمُؤْمِنِ فِي

^١ راجع تفصيل حادثي توسيعة المسجد والترشح للمجلس في محاضرة رقم ١١ من سنة ١٤٣٦ من سلسلة شرح دعاء أبي حمزة، ص ١٣.

^٢ موسوعة الكلمة، السيد حسن الحسيني الشيرازي، ج ١، ص ٤١٧: يا بن آدم! أكثر من الرّاد فإنّ الطّريق بعيد وجدد السفينة فإنّ البحر عميق وخفّف الحمل فإنّ الصراط دقيق وأخلص العمل فإنّ الناقد بصير بصير وأخر نومك إلى القبر وفخرك إلى الميزان وشهوتك إلى الجنة وراحتك إلى الآخرة ولذتك إلى الحور العين ولكن لي أكمن لك وتقرب إلى باستهانة الدنيا وتبعّد عن النار لبغض الفجّار وحبّ الأبرار فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

الأمور الاجتماعية والسياسية والحكومية والعلاقة مع الأفراد هو إخلاص العمل وصدق النية،
هذا هو الملاك.

أن يكون عمل الإنسان لوجه الله تعالى، خالصاً لوجه الله تعالى، والله يطلب من كُلّ
بِمقدارِ إدراكِه وسعيه الوجوديَّة ومساعره. فنحنُ ليسَ لدينا إخلاصُ الإمام السجادي عليه
السلامُ أبداً، واللهُ تعالى لا يطلبه مِنَّا أيَّضاً، ونحنُ نَصْعُ هذا جانِباً ونَطْمِئِنُ، بل بمقدارِ ما أعطانا
اللهُ تعالى من العقلِ، قليلاً كانَ أمَّ كثيراً، بمقدارِ ما أعطى من العقلِ والشعورِ. ويُمْكِن للإنسانِ
في خلوته أنْ يُحاسِبَ نفسهُ، لا في الزحامِ والمجيءِ والذهابِ والسلامِ والصلواتِ و"تفضُّل يا
سيدي اجلس في الأعلى" وخذ الميكروفون وتكلّم، فهناكَ لا مجالَ للتفكيرِ، فلا تتعبو أنفسكم
عَبَثاً، هناكَ لا مجالَ للتفكيرِ والتأملِ ومراجعةِ النَّفْسِ. عندما تُبعَدُ هذه الميكروفوناتُ وتنتهي
عباراتُ "تفضُّل يا سيدي"، ويذهبُ الإنسانُ إلى بيته ويعلِقُ البابَ وينخلُعُ ملابِسَهُ أيَّضاً ويَبْقى
فقط بقميصِ وسروالٍ، يَذَهُبُ إلى زاويةِ الشرفةِ أو سطحِ المَنْزِلِ أو الغرفةِ ويطفُّ المصباحَ
أيَّضاً، ثمَّ يَجِلسُ ويخرجُ نفسهُ من تلك البيئةِ ليَرِيَ كم ابتَعدَ عن الطريقِ أو كانَ في الطريقِ؟ أو
ينهُضُ من مَنْزِلِه ويخرجُ ويبَعُدُ كيلومترًا أو كيلومترَينَ عنِ المدينةِ ولا تعودُ عينُه ترى العمَرَانَ،
يكونُ وحدهُ ولا أحدُ حولِه، يَجِلسُ على صخرةٍ، يُعَكِّرُ في وضعِه وعملِه، وكم يَسِيرُ في الطريقِ
الصَّحِيفِ أو الخاطِئِ؟ في ذلك الوقتِ يُلِهمُ اللهُ تعالى الإنسانَ بعضَ الومضاتِ، في ذلك الوقتِ
يُوضَّحُ اللهُ تعالى للإنسانِ بعضَ الأمورِ. فإنَّ كانَ الإنسانُ على هذه النَّيَّةِ فيأتي ويدخُلُ المَنْزِلَ،
وفي الغدِ يخرجُ منَ المَنْزِلِ ويدخُلُ المجتمعَ، وبتلك النَّيَّةِ يتعاملُ معَ النَّاسِ، فالامرُ يختلفُ.
ولكنَّا نَخلُقُ لأنفسِنا هذا الكَمَّ من المشاغلِ والمَجِيءِ والذهابِ والتواصلِ والأفرادِ
والأصدقاءِ والرفقاءِ وهذه الأمور، والميكروفوناتُ والضَّجيجُ موجودةٌ لدرجةٍ أنه لم يَعُدْ يَبْقى
لِدِماغِنا وعقلِنا وقلِينا وصدرِنا مجالٌ لذلك النوعِ من التفكيرِ، ولا يَبْقى له مَكانٌ.

ساعة تفكّر: كيّف تؤثّر على أعمالنا؟

وما ورد في الروايات من أنه طوب لمؤمن خصّص ساعةً من أربعٍ وعشرينَ ساعةً لنفسهِ وتفكّره^١ فهذا معناهُ، أن يأتي الإنسانُ بهذا التفكّر، وبالتالي النتائج التي حصلَ عليها من هذا التفكّر في ساعةٍ واحدةٍ، يأتي، يريدُ أن يكتبَ كتاباً فليكتبْ، يريدُ أن يلقيَ درساً فليلقِ، يريدُ أن يعتليَ المنبرَ فليعتلِ، يريدُ أن يصلِّي جماعةً فليصلِّ، يريدُ أن يبلغَ ويكتسبَ ويتواصلَ مع الناسِ ويقضىَ حوائجهُم، فليأتِ بعدَ هذا التفكّر وهذه النتائجِ. وقصة مولانا تُشيرُ إلى هذا الأمرِ نفسهِ في

^١ العياشي، محمد بن مسعود، ج ٢، ص ٢٠٨، «روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«تفكر ساعة خير من عبادة ستة، قال الله: إنما ينذكرون أولوا الألباب»**

الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة الرجل نفسه ص ٣٢٨: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْلَمْ لِنَفْسِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَصِيبًا مِنْهُ يُحَاسِّبُ فِيهِ نَفْسَهُ عَلَى عَمَلِهِ، يَأْخُذُ حَسَنَةً وَيَدْعُ سَيِّئَةً»**

الكافي ج ٥، ص ٨٧: **«إِنَّ الْمُؤْمِنَاتِ تَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرْمُمُ مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يَجْلِي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهِ فِيهَا يَحْمِلُ وَيَجْمُلُ»**

عيون الحكم والمواعظ ص ٣١٣: طوب لمن ذكر المعاشر فأحسن. طوب لمن هجرت في طاعة الله غمضها. وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك: وليس من شيء أضيق لأمور الولاية من التوانى، واغتنام تأخير يوم إلى يوم، وساعة إلى ساعة، والتشاغل بها لا يلزم عمّا يلزم، فاجعل لكل شيء تنظر فيه وقتا لا يقصر به عنه، ثم أفرغ فيه مجهودك، وأمض لك كل يوم عمله، وأعط لك كل ساعة قسطها، واجعل لنفسك فيها بينك وبين الله أفضل تلك المواقف، وإن كانت كلها لله إذا صحّت نيتها...

حديثه عن إياز مع السلطان محمود، والذي كان يحظى باهتمام كبير لديه، وكان لديه غرفة... وقد ذكرتها للرققاء^١ وقرأتموها بأنفسكم في المنشاوي^٢.

وقفة مع مولانا الرومي: هل نحسن الاستفادة من تراثه أم نشغل بمذهبه؟

حقاً، كُلُّ ما لدينا من معارف موجود في كتاب مولانا جلال الدين رضوان الله عليه، وأسكنه الله بمحبوبته جناته، فقلما جاء رجل بهذه العظمة في عالم الإسلام والمعارف، ويا للأسف أنَّ الأجانب يستفيدون منه ونحن بعد سبعينياته عام نقول: كان سُنياً! كان سُنياً! هذا ما أصبح فتناً! كان سُنياً، فماذا ستستفيد أنت؟ حسناً أئمَّها الميسكين اذهب واقرأ أشعاره واستفاد

^١ قال ساحة السيد في شرح دعاء أبي حزرة ج ٥ سنة ١٤١٥: نحن لا يمكننا أن نعرف من جديد قدر أنفسنا الحقيقي، وهنا أورد مولانا قصة إياز والسلطان محمود بأسلوب رائع جداً. حيث يرى السلطان إياز يدخل إلى الغرفة ويغلق الباب، فينظر إليه ويسأله: "ما هذا؟"

فيقول إياز:

"لدي كساء من جلد الغنم من أيام شبابي ورعيي للغنم، وقد احتفظت به. أذهب مرة أو مررتين في الأسبوع، أرتديه، وأضع العصا أمامي وأقول لنفسي: أنت هو أنت لم تتغير. لولا نظرة الملك وعنياته، لكنت أنت الراعي ذاته. وكونك ترى الآن أنَّ الملك قد فضلك على جميع الأمراء والسلطانين وغيرهم، فذلك لأنَّ نظرة الملك استحوذت عليك وعشقت عينيك وحاجبيك.

ولو أن نظرة السلطان محمود لم تلتقطك، لكنت أنت ذلك الراعي في الصحراء.

^٢ وخلاصة القصة أنَّ إياز كان الخادم المقرب عند السلطان محمود الغزنوي، فكثر حاسدوه من حاشية الملك، وذات يوم لاحظوا أنه كان يدخل غرفة خاصة لا يدخلها أحد سواه ثم يخرج منها، فاتهموه بأنه يخبيء كنوزاً من أموال السلطان فيها. فأمر السلطان بكسر باب الغرفة وتفيشها، فلم يجدوا ذهبًا ولا فضة، بل وجدوا شيئاً غريباً. "لقد رأوا الغرفة خالية من الأمتعة والأثاث، ولم يجدوا إلا حذاء قدِيًّا وفروة ممزقة.

ولم يجدوا غير هذين في الغرفة، وغضباً على أيديهم من الحيرة والذهول، وقالوا: ما هذا؟ لعل الحفرة التي كثر فيها الذهب في هذا الموضع، فاحفروا هنا واضربوا المعمول.

وبعد أن يتسوأ من العثور على شيء وعادوا خجلين إلى السلطان، سأله السلطان إياز عن سر هذه الأعمال فقال: يا إياز، ما معنى هذا الوفاء؟ وما سر هذا الحذاء القديم وتلك الفروة الممزقة؟

فقال إياز: إنِّي أعرف نفسي، إنِّي لست إلا بهذا القدر من الشأن، وهذه هي أسمالي. إنِّي أنظر إلى هذا الحذاء وهذه الفروة، فلا يدخلني العجب والكبر من عظمة السلطنة. إنِّي لا أنسى حالي وما كنت عليه، حتى لا أخدع بما أنا فيه الآن من الجاه والمقام، فإن العارية مردودة." راجع: مثنوي معنوي الجزء الخامس، ترجمة الدسوقي شتا. (م)

منها! فهل تريد أن تتبع عمرًا وأبا بكرٍ؟ ماذا يعني أنه كان سُنِّيَا؟ فمن قال كلامًا باطلًا فأرجبه، إن قال باطلًا فائت بجواب علمي، هل يقول لك أتبع عمرًا وأبا بكر؟ أنت أتبع علياً عليه كل زينة كلامنا وأشعارنا وخطبنا ومنبرنا وكتابنا هي أشعار من مولانا، ثم نقول كان سُنِّيَا، كان كافراً وكان جُندياً وهذه الترهات التي لا تساوي شيئاً، كان سُنِّيَا حسناً! وهل أنت شيعي؟

الخرافات خطيرة في فهم الدين: أمثلة مقلقة

ما شاء الله على معرفتكم وفهمكم لمقام الإمام! وبعد ألف وأربعين عام يقول ذلك السيد الشيعي: أصلًا من قال إنهم ركعوا السيدة الزهراء عليها السلام؟! تفضلوا، هذا أيضًا شيعي يتَّخذ منه أهل السنة ذريعة علينا ويقولون: أخيرًا فهم الشيعة بعد ألف وأربعين عام هي الأباطيل التي ارتكبواها وما هي التهم التي وجّهوها للسنة! ويأتي آخر ويقول: أصلًا من قال أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: **إِنْتُونِي بِدَوَّاهُ وَصَحِيفَةُ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا**، اثنوني بقلم وقرطاسي ودواة لأكتب لكم شيئاً لن تضلوا بعدي أبداً، فقال الثاني: إن الرجل ليه مجرٌ. ثم بعد ٤٠٠ عام، الحمد لله علماً علينا الآن خرجوا ليقولوا: لا يا سيدي هذه القضية كذب! حاشا لإيمان وكرامة وعظمة خليفة لهذا! أخليفة المسلمين ينسب شيئاً إلى النبي صلّى الله عليه وآله؟! تفضلوا، هؤلاء أيضًا علماً علينا! سلمت أيديكم! وآخر يقول: أصلًا من قال إن الإمام عليه السلام كان يعلم الغيب؟! عالم الغيب لله فقط، وأمير المؤمنين عليه السلام لا يستطيع أن يرى ما أمامه، ولو كان يعلم لما ذهب إلى المسجد؟! نعم إذا أراد الله تعالى شيئاً يومًا ما أعلمه، أما **سَلَوْنِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي**^٢ وأمثالها فهذه كلها ترهات وأكاذيب، هو يقول: أسألكوا.... ونحن نقول: هذا لا سند له ولا رواية، وذلك الرواية كذا، والرواية مخالفة لآيات القرآن، والقرآن يقول: **(وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثُرُ**

^١ معرفة الإمام، ج ١، ص: ٢٩٠؛ طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٢٤٢، طبعة بيروت، ١٣٧٦هـ.

^٢ راجع حول مصادر هذه الرواية وطرقها العديدة معرفة الإمام ج ١٢، ص ٤٢ وما بعدها

منَ الْخَيْرِ^١، إِذَا الرّوایاتُ التّي تتعارضُ مَعَ هذَا تُنحّى جانِبًا وَلَا يَنْبغي الالتفاتُ إِلَيْها، وَالإِمامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلُنَا، وَشَيْئاً فَشَيْئاً يَجْعَلُونَ الإِمامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بَائِعَ لَبَنٍ وَيَضَعُونَهُ جانِبًا! وَذَلِكَ السَّيِّدُ يَقُولُ أَيْضًا: مَا هِي زِيَارَةُ عَاشُورَاء؟ إِنَّهَا تُخَالِفُ الْوَحْدَةَ!

مفهوم الوحدة الحقيقية: هل هو التنازل عن التوابت؟

فهل جاءت الوحدة من عند الْوَحْيِ؟ وَمَنْ قَالَ إِنَّا يَحْبُّ أَن نَكُونَ مُتَّحِدينَ مَعَ أَهْلِ السُّنْنَةِ بِهذا المعنى؟ آيَةُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ ذُكِرتْ ذَلِكَ؟! هَلَ الْوَحْدَةُ تُعْنِي التَّخَلِّي عَنِ الْأُسُسِ وَالْمِلَاكَاتِ؟! يُخْطِئُ مَنْ يَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ. هَلَ الْوَحْدَةُ بِمَعْنَى التَّخَلِّي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! يُخْطِئُ مَنْ يَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ. هَلَ الْوَحْدَةُ بِمَعْنَى التَّخَلِّي عَنْ إِمَامَةِ الإِمامِ الْحَسَنِ وَالإِمامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟! يُخْطِئُ وَيَسْتَحْقُ اللَّوْمَ مَنْ يَطْرُحُ مِثْلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ! فَمَاذَا تُعْنِي الْوَحْدَةُ؟ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَلَنْتَخَلَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَيْضًا وَتَتَحَدَّدُ مَعَ النَّصَارَى، هَذَا أَفْضَلُ، هَكَذَا تَكُونُ وَهَدَتْنَا أَشْمَلَ! أَصَلًا فَلَنْتَخَلَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَيْضًا، وَالآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ لَدِينَا تَقُولُ إِنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلُ صَالِحًا فَمَكَانُهُ فِي الْجَنَّةِ. ثُمَّ تُوَسِّعُ الْأَمْرَ قَلِيلًا وَنَقُولُ: أَصَلًا نَرِيدُ أَنْ تَتَحَدَّدَ مَعَ الْيَهُودِ أَيْضًا، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِدِينِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَنَحْنُ نَحْتَرِمُ أَنْبِيَاءَهُمْ، وَنَعْتَبِرُ سَبَّ أَيِّ نَبِيٍّ مُوْجَبًا لِلرُّدَّةِ، وَلَيْسَ فَقَطُ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فِيمَنْ نَاحِيَةُ الاعْتِقَادِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَرُسُلِ اللَّهِ، نَحْنُ مُتَقَدِّمُونَ إِلَى هَذَا الْحَدَّ، وَعَدَمُ احْتِرَامِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ حَرَامٌ وَيُوجَبُ الْفِسْقُ وَعِقَابُ جَهَنَّمَ لِلإِنْسَانِ، وَلَكِنَّ هَذَا الدِّينَ الْيَهُودِيُّ وَالدِّينُ الْمَسِيحِيُّ لَا نَقْبِلُهُمَا! هَذَا الدِّينُ بَاطِلٌ. إِذَا كَانَ مِنَ الْمُقْرَرِ أَنْ تَتَحَدَّدَ مَعَ أَهْلِ السُّنْنَةِ، فَلَنْتَخَلَّ مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَتَتَحَدَّدَ مَعَ الصَّهَابَيْنَ. لَيْسَ لَدِينَا وَحْدَةٌ، مِنْ أَيْنَ خَرَجْتُ هَذِهِ الْوَحْدَةُ؟

نَعَمْ، يَحْبُّ عَلَى الإِنْسَانِ، مَعَ الْحِفَاظِ عَلَى الْأُسُسِ وَالْأُصُولِ الْمَوْضِوِعِيَّةِ وَالْمُسَلَّمَةِ الَّتِي لَا شَكَّ فِيهَا، أَنْ يَقُولَ مِنْ خِلَالِ الْحُوَارِ وَالْمُجَالَسَةِ وَاللَّقَاءِ وَالتَّعَاوِشِ، وَدُونَ سَبٍّ وَلَعْنٍ، وَبِسَعَةٍ صَدِّرٍ، بِإِيجَادِ عَلَاقَاتٍ وَرَوَابِطٍ بِحِيثُ يُوجَّهُهُمْ نَحْوَ الْأَمْوَرِ الْيَقِينِيَّةِ وَالْمُحَقَّقَةِ لِلشِّيْعَةِ، هَذَا هُوَ

^١ سورة الأعراف (٧) الآية ١٨٨



معنى الوحدة، لأن يتخلّى الإنسانُ عن إمامَةِ الأئمَّةِ عليهمُ السلامُ ويَتَّبعُ عمرًا. أيُّ إنسانٍ يُمْكِنُهُ أن يسمح لنفسيه بالتخلي عن الحقيقة والأمورِ المُسلَّمة؟ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليهِ السلامُ يقولُ لأصحابِه: إذا قيلَ لَكُمْ سُبُّونِي فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ، ولكن إذا قيلَ لَكُمْ تبرُّوا مِنِّي فلا تبرُّوا، وإنْ قُتِلْتُمْ! هذا هو الأمْرُ. ماذا تعني البراءة؟ تعني أنا لستُ مِنْهُ، إذا لم تتبَّرُّ تُكسرُ رَقْبَتُكَ، حَسَنًا فليقتُلُوكَ. أليسْ هذِه غَايَةً أمنيتنا أن نُسْتَشَهِدَ في سَبِيلِ الأئمَّةِ عليهمُ السلامُ؟ البعض لا يُسْبِّونَ أيضًا، أمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليهِ السلامُ قالَ سُبُّوني، فليكن ولَكُنَّا لا نَسْبٌ، يَقْتُلُونَ؟ فليقتُلُوا. ولكن الإمام تنازل لنا إلى هذا الحدّ وقالَ مِنْ أَجْلِ التَّقْيَةِ سُبَّ، ولكن إذا قيلَ لكَ تبرَّأً. فالتبَّرُّ يعني أنا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ وَلَا عَلَاقَةَ لي بِهِ. وهذا لا يمكن. فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليهِ السلامُ هو كُلُّ شيءٍ، إذا كانت الوحدة بهذا المعنى بأن تتخلّى عن أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين والأئمَّةِ عليهمُ السلامُ، فتباً لتلك الوحدة واللعنة إلى يوم القيمة على تلك الوحدة. إن كانت الوحدة بمعنى أن يحافظ الإنسان على الأسس ويتجاوز موقتاً عن تلك الأمور والموارد التي تُثِيرُ حساسيتهم لكي يجذبُهم، وعندما يجذبُهم هُم أنفسُهم سُيدِرُونَ، إن كان هذا فلا إشكال، حَسَنًا فاليهود والنصارى أيضًا كذلك. هل يحبُّ على الإنسان عندما يلتقي بالنصارى أن يشتَمِ عيسى عليهِ السلامُ، وعندما يلتقي بيهوديًّا أن يشتَمِ موسى عليهِ السلامُ؟ لا! بل يحبُّ أن يُظْهِرَ المَحَبَّةَ ويتحدّث ويَضْحَكُ، ومع اليهود وغيرِهم هكذا. فالنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْدَمَا بُعِثَّ في مَكَّةَ، هل كانَ أهْلُ مَكَّةَ جمِيعًا مِنْ قُوَّامِ اللَّيْلِ؟ كانوا مِنْ عَبَدَةِ الْبَقَرِ وَعَبَدَةِ النُّجُومِ وَعَبَدَةِ الإِبْلِ، ألم يكُونُوا كذلك؟! (فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

١٢٣ : أَمَا إِنَّهُ سَيِّطْهُرٌ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ الْبَلْعُومٌ، مُنْدَحِقٌ الْبَطْنُ، يَأْكُلُ مَا يَحْدُدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَحْدُدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ. أَلَا وَإِنَّهُ سَيَامُورٌ كُمْ بَسِيِّيٌّ وَالبَرَاءَةُ مِنِّي. أَمَّا السَّبُّ فَسَبُونِي، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ مِنِّي فَلَا تَبَرَّءُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِسْلَامَ وَالْمُجْرَةِ.

المناقب» ج ١، ص ٤٢٩، ورواه المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٩، ص ١٩، وذكر ابن أبي الحميد هذه الخطبة في شرحه، طبعة مصر، دار الإحياء، ج ٤، ص ٥٤ إلى ١٢٨، وطرق في شرحه إلى سبب أمير المؤمنين عليه السلام منذ زمن معاوية إلى زمن عمر بن عبد العزيز، وتناول ذلك مفصلاً، وذكر الأشخاص الذين كانوا يسبون، كما ذكر المنحرفين عن الإمام والمعاندين له، ورويات الموضوعة في ذمه. وشرحه يحتوى على تحقیقات تأريخية.

لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ^١). يا رسول الله، أنت بأخلاقك الحسنة جذبَ هؤلاء المُشرِّكينَ نَحْوَنَا وَنَحْوَ اللهِ. لو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْدَمَا نَزَّلَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ بَدَأْ يَشْتِمُ أبا هَبِّي والمُشْرِكِينَ، فهل كانَ سَيِّسِلُّمُ وَاحِدٌ مِّنَ النَّاسِ؟! هل كانَ سَيِّئِمُونُ وَاحِدٌ مِّنْهُمْ؟! كانوا سَيِّقُولُونَ: يَا لَهُ مِنْ نَبِيٍّ عَجِيبٌ! تَحَدَّثُ كَإِنْسَانٍ! أمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَأْتِي يَهُودِيٌّ إِلَى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَيَقُولُ لِلْيَهُودِيِّ: "يَا أَخَ الْيَهُودِ". أمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لِلْيَهُودِيِّ يَا أَخَ الْيَهُودِيِّ، وَنَحْنُ نَأْتِي هُنَا وَنَفْصِلُ أَنْفُسَنَا وَ...؟! كَلَّا! لَيْسَ هَذِهِ الْأُمُورُ صَحِيحَةً. دِينُ الْإِسْلَامِ دِينٌ عَالَمِيٌّ، وَيَرْتَبِطُ بِفِطْرَةِ الْبَشَرِ وَفِطْرَةِ النَّاسِ، هَذَا الدِّينُ مُسَاوٍ لِلْعِرْفَانِ.

قصة تشيع مولانا: لماذا قالت كل طائفة "مولانا لنا"؟

مولانا كانَ هكذا. وَرَدَ في سِيرَتِهِ، لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ هَذَا، العَامُ الْمَاضِي وَصَلَّنِي كِتَابٌ عَنْهُ، وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقْرَأُ سِيرَتَهُ رَأَيْتُ هَذَا الْأَمْرَ. وَرَدَ في سِيرَتِهِ أَنَّهُ عَنْدَمَا تُوْقِيَ، جَاءَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالشِّيَعَةِ جَمِيعًا حُفَّةً الْأَقْدَامِ فِي تَشْيِيعِهِ. فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ: لِمَاذَا جِئْتُمْ أَنْتُمْ؟! ثُمَّ كَادَ يَحْدُثُ شِجَارٌ وَقَالُوا هُمْ: لَا تَظْنُوا أَنَّ مَوْلَانَا كَانَ لَكُمْ، فَمَوْلَانَا كَانَ لَنَا، فَالْيَهُودُ قَالُوا: كَانَ مَوْلَانَا لَنَا، وَالنَّصَارَى قَالُوا: كَانَ مَوْلَانَا لَنَا. قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَدْنَاهُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، وَمَا سَمِعْنَا مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَدْنَاهُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، وَمَا سَمِعْنَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَدْنَاهُ فِي هَذَا الرَّجُلِ. هَكَذَا كَانُوا يَسْلُكُونَ مَعَ النَّاسِ وَكَانُوا مَعَ النَّاسِ وَيَتَوَاصَلُونَ مَعَ النَّاسِ. هَذَا يُصْبِحُ عَارِفًا، وَذَلِكَ الَّذِي يَجِذِبُ الْقُلُوبَ نَحْوَ الْإِسْلَامِ. لَا يُنَفِّرُ النَّاسَ وَلَا يُغَضِّبُهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمِنَ اللَّهِ، وَمِنَ الْأُصُولِ وَالْمِبَادِئِ وَالْمِلَاكَاتِ. هَذَا يُصْبِحُ عَارِفًا، وَذَلِكَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ مَعَ أَرْوَاحِ النَّاسِ، يَتَحَدَّثُ مَعَ فِطْرَةِ النَّاسِ، وَيَجِذِبُهُمْ مِنْ بَاطِنِهِمْ نَحْوَ اللهِ. الْوَحْدَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى.

^١ سورة آل عمران (٣) الآية ١٥٩



هل زيارة عاشوراء تخالف الوحدة؟

والآن زيارة عاشوراء أيضاً لم تعد جزءاً من الإسلام، وصارت تُخالف التَّقْيَةَ والوحدة، ومنْ قال إنَّ الإمام عليه السلام نطق بهذه الكلمات؟! فهذه اختراعها هؤلاء الناس أنفسهم، هؤلاء الناس المُتَحَمِّسُونَ هُم مَنِ اخترعوا زيارة عاشوراء.

حسناً، فهو لا يُعَذِّبُ شيئاً شيعتنا! تفضلوا! وهذا أيضاً هو مقدار معرفتهم بزيارة عاشوراء التي يعتبرُها البعض تالية للوحى أصلاً، فمسألة زيارة سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء، بعض الأعظم كانوا يعتبرونها مثل القرآن. فكم كان المرحوم السيد الحداد يؤكّد على زيارة عاشوراء، أحد توجيهاته كان قراءة زيارة عاشوراء مرّة واحدة في الأسبوع على الأقل، وذلك مع مائة لعنٍ ومائة سلام. ثم يقولون هؤلاء ليسوا أهل ولاية! والعرفاء! يقرؤون القرآن فقط ولا علاقة لهم بالإمام الحسين عليه السلام!

إعادة التأكيد: لماذا لا نحاسب على الأفعال بل على النوايا؟

إذاً، العمل الذي يريد الإنسان أن يقوم به، إذا أراد أن يحسب له حساباً، فإنَّ الله تعالى أيضاً سيأتي ويَضْعُه تحت المجهر، لماذا؟ لأنَّ العمل الذي يقوم به الإنسان له نسبة إليه تعالى، فرغم أنَّ كلَّ التَّوْفِيقَاتِ منه، لكنَّا لم نعد نحسب هذه التَّوْفِيقَاتِ، لو كنَّا نحسبُها لما جئنا لتعريضها أمامه. رغم أنَّ القدرة منه والتوفيق والهمة والقيام والقعود منه، العشق والمحبة للعبادة منه، هذه كلُّها منه ونحن نعلمُ هذا، نعلمُ ومع ذلك نقول: يا الله لقد جئنا وصلينا لك، وقد مضى علينا شهر رمضان وصمنا من الصَّبَاحِ إلى المساء. يا إلهي أي مصالib مرت بنا؟!

لقد أكلت من السَّحُورِ أهيَا المُسْكِنُ لدرجة أنك لم تكون تشتكي الطعام أصلاً حتى الغروب! فبم تَمُّنُ على الله تعالى؟ وما هذا الكلام؟! ذاكَ تَبِيُّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الذِّي كان يَصْلُّ شَهْرَ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ ببعضها، وكان في سائر أيام السنة أيضاً يصوم أغلىها، ولم يقل لله: يا الله لقد صُمِّطْتُ لك! وذلك في يوم تكون ساعاته عشرة أو إحدى عشرة ساعة، وذلك في هذه الأيام أيضاً، أكلنا السَّحُورَ حتى امتلأنا، وعندما يحين وقت الإفطار، نرى للتو هل

نَسْتَهِي أَصْلًا أَمْ لَا. ثُمَّ نَقُولُ: يَا اللَّهُ لَقَدْ صُنْمَنَا لَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَصَلَّيْنَا، فَلِمَّا ذَكَرْنَا ذَلِكَ؟! لَأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي نَقُولُ بِهِ يَحْمِلُ رَائِحَةَ الْكَثْرَةِ، وَشَائِبَةَ الْكَثْرَةِ، وَشَائِبَةَ الْإِنْتِسَابِ إِلَى النَّفْسِ، فَنَحْنُ قُمْنَا بِهَذَا الْعَمَلِ. وَاللَّهُ تَعَالَى غَيْوَرٌ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَرْتُكُ غَيْرًا لِنَفْسِهِ، غَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَقْبِلُ وُجُودًا فِي مُقَابِلِ وُجُودِهِ. أَنَا صَلَّيْتُ يَا اللَّهُ! يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتَ صَلَّيْتَ؟ حَسَنًا، كُلُّ مَا فَعَلْتَ هُوَ مِنْ آثَارٍ وُجُودِي، فَمَاذَا فَعَلْتَ أَنْتَ؟! قُدْرَتُكَ هِيَ آثَارُ قُدْرَتِي. عِنْدَمَا تَنَاهَضُ لِتُصَلِّيَ هَذِهِ الْقُدْرَةُ الْمُوْجُودَةُ فِيهَا الْآنَ وَالَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى شَكْلِ صَلَاةٍ، هِيَ نُزُولُ اسْمِي الْكُلُّي "الْقَدِيرِ" الَّذِي تَجَلَّ بِشَكْلٍ جُزْئِيٍّ فِي وُجُودِكَ.

لَوْلَا مِنْ تَجَلِّي اسْمِي "الْقَدِيرِ" فِي وُجُودِكَ، لَكُنْتَ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ كَالْمَمِيتِ وَلَمْ تَكُنْ تَسْتَطِيْعُ حَتَّى تَحْرِيكَ يَدِكَ، فَهَلْ رَأَيْتُمْ! هَلْ حَدَثَ لَكُمْ؟ أَحْيَا نَاسٌ تَصِيبُ الْإِنْسَانَ حَالَةً ضَعْفٍ، لَقَدْ حَدَثَ لِي. فِي قَضِيَّةِ مَا أَصَابَنِي وَعَكْكَةً صِحَّيَّةً، لَمْ أَكُنْ أَسْتَطِيْعُ حَتَّى تَحْرِيكَ إِصْبَاعِي، كَنْتُ مُسْتَقِظًا، مَرَّتْ نِصْفُ سَاعَةٍ حَتَّى اسْتَطَعْتُ فَقْطَ تَحْرِيكَ يَدِي، كَنْتُ كَالْمَمِيتِ وَلَكِنْ مَشَاعِري كَانَتْ تَعْمَلُ، كَنْتُ مُسْتَقِظًا. مَا هَذَا الْكَلَامُ؟! حَتَّى يَنْزَلَ اسْمُ "الْقَدِيرِ" لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَنَاهَضَ مِنْ مَكَانِكَ، مِنْ الَّذِي أَقَامَكَ مِنْ مَكَانِكَ؟. حَتَّى يَنْزَلَ اسْمِي "الْمُتَكَلِّمِ" فِي وُجُودِكَ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، حَتَّى يَأْتِي اسْمِي "الْحَيِّ" فِي هَذِهِ الْقَوَالِبِ وَيَنْزَلَ بِصُورَةٍ ضَعِيفَةٍ، ضَعِيفَةٍ ضَعِيفَةٍ ضَعِيفَةٍ، وَلَا تَكُونُ لِدِيكَ الْقَابِلِيَّةُ لَهُذَا الْمِقْدَارِ مِنَ الْحِصَّةِ وَالسُّعَةِ الْوُجُودِيَّةِ، لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَكُونَ حَيًّا، فَمَا بِالْكَ بِأَنْ تُصَلِّيَ. تَكُونُ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ كَالْحَجَرِ! اذْهَبُوا إِلَى الْمَقَابِرِ وَالْمَغَاسِلِ وَانْظُرُوا، هُؤُلَاءِ الْأَمْوَاتُ الَّذِينَ يُؤْقَى بِهِمْ إِلَى هُنَاكَ، هَذَا كَانَ يَمْشِي فِي الشَّارِعِ صَبَاحًا، وَالآنَ مُلْقًى هُنَا لَا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَرِمَّشَ بِجَفْنِهِ، بِالْأَمْسِ كَانَ يَمْشِي وَيَتَحَدَّثُ مَعَنَا. (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ¹. عِنْدَمَا يَأْتِي الْأَجَلُ، يَتَبَدَّلُ اسْمُ "الْحَيِّ" إِلَى اسْمِ "الْمُمِيتِ"، يَنْزَلُ الْإِمَاتَةُ وَتَظَاهِرُ فِي هَذَا الْإِنْسَانَ، فَيَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ. كُلُّ فِعْلٍ يَصُدُّرُ مِنَ الْإِنْسَانِ هُوَ نُزُولٌ لَاسْمٌ أَوْ صِفَةٍ كُلِّيَّةٍ لِلَّهِ تَعَالَى تَجَلَّتْ وَخَرَجَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ.

¹ سورة النحل (١٦) الآية ٦١

كيف نرى تجلي الأسماء الإلهية في أفعالنا؟

ذلك الذي يرى الجانِبُ الْكُلُّيَّ عندما ينظر إلى هذا وهو يصلي، يُشاهِدُ ذلك الحَبْلَ. أمّا نحن فلا! نحن لا نرى ذلك الحَبْلَ ولا نرى ذلك الحَطَّ. أنا الآن أتحدَّثُ إلَيْكُمْ، وأنْتُمْ تسمَعُونَ كلامي وتفَكِّرونَ فيه وتأملُونَ هل هو صَحِيحٌ أم لا؟ ليس من المَعْلُوم أنَّ كُلَّ ما نقولُه صَحِيحٌ. أنتُم الآن تقولونَ إنَّ فُلانًا يتحدَّثُ ويقولُ هذا الكلام، وكم يتحدَّثُ جِيدًا! فهذا ما تقولونَه أنتُم، ولكن لو كانت لديْكُم عِينُ البَصِيرَةِ، لما قُلْتُم عن هذا الكلام الذي أقولُه كم يتحدَّثُ السَّيِّدُ جِيدًا! هذا الكلام يُصْبِحُ ذَنْبًا وَخَطَاً وباطِلًا. لا يوجدُ لدينا "السَّيِّدُ يتحدَّثُ جِيدًا"، لا يوجدُ لدينا "السَّيِّدُ يقولُ كلامًا جِيدًا". لمن هذا؟! هذا للذين مَشَاعِرُهُمْ في مُسْتَوَى مُنْخَفِضٍ، أمّا أنتُم فلا يَنْبَغِي أن تقولوا هذا الكلام، يَحْبُّ أن تقولوا: أيُّ أمورٍ تَنْزَلُ مِنْ هُنَاكَ؟ هذا ما يَحْبُّ أن تقولوه، هذا هو الصَّحِيحُ. ما معنى "السَّيِّدُ يتحدَّثُ جِيدًا"؟ لقد أُغْلِقَ مَلْفُهُ وَقُرِئَتْ فاتِحَتُهُ وانتهى أمره، انتهى الأمرُ. الآن تَغَيَّرْتُ أَفْهَامُنَا، تَغَيَّرْتُ أَفْكَارُنَا، وَتَغَيَّرْتِ الْأُمُورُ، لا يَنْبَغِي لنا أن نعودُ إلى الوراءِ وَنَبْحَثَ فيه، لقد مَضَى ذَلِكَ الْمَاضِي، مُدَرَّكًا ثُنا قَبْلَ أَرْبَعِ أوْ حَمْسِ سِنُواتٍ انتَهَتْ، ماذا يَحْبُّ أنْ نُفَكِّرَ الآنَ؟ فلتَتَقدَّمْ قليلاً، ولنَاصِعْ قَدْمَنَا أَبَعَدَ، وَلَا نَجُرْ أَنْفُسَنَا إِلَى الْخَلْفِ. الآن أَصَبَّحْتُ عِبَارَةً "السَّيِّدُ يتحدَّثُ جِيدًا" باطِلَّةً وَذَنْبًا، والآن اللَّهُ تَعَالَى لَا يَغْفِرُهَا، فلنَتَبَيَّهُ. الآن، بِمُجَرَّدِ أَنْ تَرَوْنِي أَتَحدَّثُ، فالتفتوا وتذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورُ تَأْتِي مِنْ هُنَاكَ، طبعًا إنْ كانت صَحِيقَةً وَلَمْ أَكُنْ قَدْ خَلَطْتُ الْأُمُورَ.

(وَمَا يِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِيمَنِ اللَّهُ) ^١. الكلام الطَّيِّبُ والصَّحِيحُ نِعْمَةٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى تَنْزَلُ مِنْ هُنَاكَ بِأَيِّ صُورَةٍ يَرِيدُهَا هُوَ، فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ وَفِي صُورَةِ حَيَوانٍ. قَدْ يَتَعَظُّ الْإِنْسَانُ وَيَأْخُذُ عِبَرَةً مِنْ سُلُوكِ بَعْضِ الْحَيَوانَاتِ. سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي كَانَ يَعْرُفُ لُغَةَ الْحَيَوانَاتِ كَانَ يُفْنِي قَوْنَاتِهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَيَوانَاتِ، كَانَ عُصْفُورًا يَتَحدَّثُ فِي صَعْقَهُ وَيُعْشِي عَلَيْهِ. لدينا الْكَثِيرُ مِنَ الْأُمُورِ وَالْقَضَايَا حَوْلَ هَذَا الْمَوْضِعِ. لدينا قَضَايَا كَثِيرَةٌ حَوْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فالآن لم يَعُدْ يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ: "السَّيِّدُ يتحدَّثُ جِيدًا"، الآن يَحْبُّ أَنْ نَقُولَ: "ما هي الْأُمُورُ الَّتِي تَأْتِي مِنْ

^١ سورة النحل (١٦) الآية ٥٣.

هُنَاكَ؟"، لأنَّ هذا السَّيِّدَ نفْسَهُ الَّذِي يَتَحَدَّثُ جَيِّدًا الْآنَ، قَدْ يَقُولُ غَدًا حَفْنَةً مِنَ التُّرَّهَاتِ. السَّيِّدُ هُوَ السَّيِّدُ نفْسُهُ لَمْ يَتَغَيِّرْ. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَعَلَّقَتِ الإِرَادَةُ بِأَنْ تَأْتِي هَذِهِ الْأَمْوَرُ، وَغَدًا لَا، غَدًا يَقُولُ الْأَمْرُ فِي أَيْدِينَا! يَا وَيَلَنَا! الْآنَ يَأْتِي ذَلِكَ الْقِسْمُ. يَجِبُ عَلَى الْعَارِفِ، يَجِبُ عَلَى الْفَهِيمِ وَالْمُؤْمِنِ أَنْ يَرَى الْأَصْلَ. هَذَا التُّرَوْلُ لَاسْمٌ "الْتَّكَلُّمُ" فِي هَذَا الْقَالِبِ يَجِبُ أَنْ يَعُودَ إِلَى أَصْلِهِ. أَنْتُمُ الَّذِينَ تَسْتَمِعُونَ الْآنَ إِلَى هَذِهِ الْأَمْوَرِ وَتُفَكِّرُونَ وَتُدْرِكُونَ، أَنْتُمُ الْآنَ مَظَاهِرُ لَاسْمٍ "السَّمِيعُ" ، (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). السَّمِيعُ يَعْنِي الَّذِي يَسْمَعُ، طَبَّاعًا هُوَ أَدْقُ مِنْ مَعْنَى السَّمْعِ، يَعْنِي الإِدْرَاكُ وَالْقَبْوَلُ وَالتَّصْدِيقُ، ذَلِكَ هُوَ مَعْنَى السَّمِيعِ. وَالسَّمِيعُ وَالْمُسْتَمِعُ شَيْئاً مُخْتَلِفَاً، أَيْ ذَلِكَ الَّذِي يَتَقَبَّلُ الْأَمْرَ بِرُوحِهِ وَقَلْبِهِ. يَقُولُ: اسْمَعْ! يَعْنِي اقْبِلْ وَصَدِّقْ وَتَقْبَلْ، هَذَا مَعْنَى السَّمِيعِ. (هُوَ السَّمِيعُ) هُوَ الَّذِي يُدْرِكُ كُلَّ حَقَائِقِ عَالَمِ الْوُجُودِ، إِدْرَاكًا سَمِعِيًّا، أَيْ فِي قَلْبِهِ وَضَمِيرِهِ تُعَادُ كُلُّ آثَارِ الْوُجُودِ. عِنْدَمَا يَنْزِلُ مِنْ هُنَاكَ، فِي عَوَدَتِهِ إِلَيْهِ، كُلُّ الْأَمْوَرِ لَا تَشُدُّ عَنْ حِيطَتِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، لَا تَخْرُجُ عَنْ حِيطَةِ وُجُودِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ خَافِيًّا، لَا يُمْكِنُ لشَيْءٍ أَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. أَنْتُمُ الَّذِينَ الْآنَ مَظَاهِرُ لَاسْمٍ "السَّمِيعُ" ، لَا يَبْغِي لِي أَنْ أَقُولَ: "مَا شَاءَ اللَّهُ، أَيُّ أَفْرَادٍ جَاؤُوا هُنَا، يَسْتَمِعُونَ إِلَى كَلَامِنَا وَيُعِجِّبُونَ!". فَبِمُجَرَّدِ أَنْ أَقُولَ هَذَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "مَاذَا حَدَّثَ؟! هَلْ أَنْتَ الَّذِي كُنْتَ تَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ لِلآخَرِينَ؟! لِمَاذَا أَنْتَ هُنَاكَ؟! أَنْتَ الَّذِي تَحْفِرُ بِالْمَعْوَلِ، لِمَاذَا لَا تَحْفِرُ حَدِيقَتَكَ؟!". وَالْآنَ، بَيْنَا الْأَفْرَادُ يَسْتَمِعُونَ إِلَى هَذِهِ الْأَمْوَرِ، تَطَرَّحُ أَنْتَ مَسْأَلَةَ الْكَثْرَةِ وَمَسْأَلَةَ الْإِنْتِسَابِ إِلَى النَّفْسِ! أَنَا أَيْضًا يَجِبُ أَنْ أَنْتَهُ، كِلَانَا يَجِبُ أَنْ يَتَبَتَّهُ. أَنْتُمُ الَّذِينَ تَوَجَّهُونَ إِلَيَّ، يَجِبُ أَنْ تَرَوَا تَلْكَ الْكُلُّيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْجُزْئَيَّةِ لِتَسْتَفِيدُوا بِشَكْلٍ أَفْضَلَ، وَأَنَا أَيْضًا يَجِبُ أَنْ أَرَى تَلْكَ الْكُلُّيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْجُزْئَيَّةِ، وَإِذَا رأَيْتُ ذَلِكَ، تَخْتَلِفُ الْأَمْوَرُ كَثِيرًا.

ثُراتُ رُؤْيَا الأَصْلِ الْإِلَيَّيِّ فِي الْأَفْعَالِ: كَيْفَ تَغَيَّرَ نَظَرُنَا لِلْأَمْوَرِ؟

عِنْدَمَا أَتَحَدَّثُ، حِينَهَا إِذَا نَعَسَ أَحَدُهُمْ أَيْضًا فَلنْ أَنْزِعَ جُعْجُوعَهُ. عِنْدَمَا أَتَحَدَّثُ، إِذَا فَهِمَ أَحَدُهُمْ الْأَمْرَ بِشَكْلٍ مُخْتَلِفٍ، فَلنْ أَتَضَايِقَ بَعْدَ الْآنَ، لِمَاذَا؟ لَا تَنْبَهْنِي رَبَطْتُ هَذَا الْجُزْئَيَّةَ بِهِ، وَالْأَمْرُ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالْكَثْرَةِ. عِنْدَمَا أَتَحَدَّثُ، إِذَا قَلَّ الْعَدَدُ أَوْ زَادَ، وَجَاءَ يَوْمًا مِائَةً وَيَوْمًا خَمْسُونَ، فَلنْ أَتَضَايِقَ بَعْدَ

الآن. لماذا؟ لأنَّ الله تعالى أراد أن تَظَهِرَ في الخارج في ذلك اليوم خمسون صورةً جُزئيَّةً، فما علاقتي أنا بذلك؟! غَدًا سَبْعونَ وَبَعْدَ غَدَى سَبْعينَةٍ من الحضور! أصلًا ما علاقَةُ ذلك بي؟ أنا يُجَبُ أن أَخْدَثَ وأقول ما أنتهي إليه، سواءً كان الحاضرون سبعين أم سبعيناتٍ، هل يُفْقَدُ مِنْ جيبي؟! ليَقُلَّ العَدْدُ أو يَزِدُ. انظروا كم تَغَيَّرَ المُعَادَلَاتُ، وكم تَغَيَّرَ الأمورُ، وكم تَبَدَّلُ العلاقاتُ؟! كم تَرَتفَعُ التَّوْقُعَاتُ وَتَنَخَّفِضُ، كُلُّ هذِهِ الأمورِ تعودُ إلى الكثرة، أي أنَّ المَقَامَ الْيَحِبُّ أنَّ أَكُونَ فِيهِ لستُ فِيهِ، والمَقَامَ الْيَحِبُّ أنْ تكونوا فِيهِ لستُمْ فِيهِ، لذا يَحدُثُ الْخِلَافُ. أَمَّا إِذَا اسْتَقَرَ كُلُّ مِنَ الْطَّرَفَيْنِ فِي مَقَامِهِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ، يُصْبِحُ المَقَامُ رَفِيعًا، وُجُودًا رَابِطًا^۱.

الْوُجُودُ الرَّابِطُ: كَيْفَ يُحوِّلُ عَالَمَنَا إِلَى جَنَّةٍ؟

وُجُودُنَا وُجُودُ رَابِطٍ وَفَقْرِيٍّ، إِذَا اسْتَقَرَ كُلُّ مِنَا وَمِنْكُمْ وَالبَقِيَّةُ فِي مَقَامِهِ، حِينَها تُصْبِحُ الدُّنْيَا جَنَّةً نَعِيمٍ وَحُكُومَةُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْجَهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ فِيهِ. فَالْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا يَأْتِي، الْعَمَلُ الَّذِي يَقُولُ بِهِ هُوَ أَنَّهُ يَضَعُ كُلَّ فَرِيدٍ فِي مَقَامِهِ، كُلَّ إِنْسَانٍ فِي مَقَامِهِ. فَإِذَا قَالَ لِأَهْدِهِمْ: "وَاجِبُكَ أَنْ تَسْقِيَ هذِهِ الْأَشْجَارَ"، لَا يَفْرُقُ ذَلِكَ عِنْهُ عَنِ الْذِي يَقُولُ لَهُ: "اذْهَبْ وَكُنْ مُحَافِظًا أَوْ حَاكِمًا عَلَى بَلَدٍ مِثْلِ فَرَنْسَا، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا". (مزاح) الْآنَ لَا أَعْلَمُ هُلْ يَفْرُقُ ذَلِكَ عِنْهُ أَمْ لَا؟ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْهُ لَا يَفْرُقُ. يَقُولُ لِأَهْدِهِمْ: "وَاجِبُكَ أَنْ تَأْخُذَ هذِهِ السَّلَالَ الْمَوْجُودَةَ هُنَا وَتَضَعُهَا فِي أَوَّلِ الزُّقَاقِ وَتَجْمَعُهَا مِنَ الْمَنَازِلِ، وَفِي الْلَّيْلِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ تَأْتِي السَّيَّارَةُ لِتَأْخُذَهَا"، لَا يَفْرُقُ ذَلِكَ عَنْ أَنْ يَأْتِي وَيُعْطِي هُكْمَ مِنْطَقَةٍ كَبِيرَةٍ. لَا ذَلِكَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى تَلَكَ الْمِنْطَقَةِ يَشْعُرُ بِالاستِعْلَاءِ وَالْعُلُوِّ وَالتَّفَوُقِ عَلَى هَذَا، وَلَا هَذَا يَشْعُرُ بِالذَّلَّةِ وَالْحَقَارَةِ تُجَاهَهُ، كِلَاهُمَا وَاحِدٌ. بَلْ هَذَا أَسْهَلُ، يَقُولُ: "جَزَاكَ اللَّهُ خِيرًا يَا إِمَامَ الزَّمَانِ!". فِي عَصْرِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ فِرْجَهُ، تَعُودُ الْمَسْؤُولِيَّاتُ عَلَى أَسَاسِ الْجَانِبِ الرَّابِطِيِّ، لَا عَلَى أَسَاسِ أَنَانِيَّةِ الْجَانِبِ الْاسْتِقلَالِيِّ. الْوُجُودُ الَّذِي نَشَعَرُ بِهِ الْآنَ أَنَّهُ لَأَنْفُسِنَا هُوَ - كَمَا يَقُولُ الرُّفَقاءُ مِنْ

^۱ اصطلاح فلسفِي يعني الْوُجُودُ القائمُ بِغَيْرِهِ وَالَّذِي لَا استِقلالُهُ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ عِنْ الرِّبْطِ الْمُحْضِ وَالْمُعْلَقِ بِغَيْرِهِ (م)

الطلاب - "وجود في نفسه لنفسه بنفسه"، وقد تفوقنا به على الله تعالى! (مزاح) فذلك الوجود ينحصر بالله تعالى فقط، وهو الوجود الاستقلالي القائم بالذات. فكل واحد مينا يرى أن وجوده وجود استقلالي غير مت Dell بالله تعالى وهو قائم بذاته وصاحب اختيار في كل شيء، هذا هو حال وجود الجميع! وجودنا الواقعي هو وجود فكري، أي لا وجود له أصلاً غير تجلي تلك الذات والوجود البسيط. لا شيء، إنه ظل، ظل من الشمس سقط، الظل ليس له شيء من نفسه، هو نفس النور الذي تجل في الخارج بصورة ضعيفة.

معنى الوجود الظلي

الظل ليس بمعنى ظل الإنسان، ذلك الظل الذي يقال في الاصطلاح الفلسفية هو عبارة عن هذه الأنوار الجزئية المتعاكسة فهو مثل هذا النور الذي يصطدم بالمرآة وينعكس، وليس الظل بمعنى الظلم وقلة النور.

فالناس الآن هكذا. وسبب هذه الخلافات والجلسات في الدنيا، فالملوك، ورؤساء الجمهوريات، ينظرون شزارا بعضهم البعض، ويتبادلون الرسائل، وهذا يفعل كذا لذاك، وهذا يشتم ذاك! كل هذا لأنهم أخطوا في مقامهم وافتراضاً وجودهم وجوداً مستقلاً بالذات، لا مستقلاً بالغير! فجلسو مكان الله تعالى! عندما يظهر الإمام المهدي عليه السلام، تزول كل هذه الوجادات المستقلة وتصبح وجوداً رابطاً. في الوجود الرابط لا يعود هذا يشعر بالتفوق على ذاك، ولا يعود هذا يتفوق على ذاك. الفيل والنملة واحد في الوجود الرابط. لا فرق بينهما، كلاماً واحداً، فهذا ظهر بهذا النحو وهذا بذاك النحو. والإمام عليه السلام عندما يظهر تصبح الوجادات كلها وجوداً رابطاً وتدرك ذلك. لذا، شئت أم أبيت، تصبح الدنيا جنة، أي حتى لو لم يرد الإمام المهدي عجل الله فرجه تصبح الدنيا جنة. عندما تنقلب الأفكار هكذا، عندما يحدث تغيير أساسي في مدركاتنا بعنایة الإمام، وكما يقول الإمام الباقي عليه السلام: «وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُؤُسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ، وَكَمُلَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ». ^١، معناه هو هذا، أي أن حقيقة

^١ «أصول الكافي» ج ١، ص ٢٥. و «الوافي» ج ١، ص ١١٤، الطبعة المحرافية:

الإِنْسَانُ الْوُجُودِيَّةُ فِي زَمَانِ الْإِلَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْدُّ مَقَامَهَا. فَتَشَعُّرُ بِمَوْقِعِهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. عِنْدَمَا يُصْبِحُ الْأَمْرُ هَكَذَا، فَأَيُّ تَوْقُّعٍ يَبْقَى؟! كُلُّ النَّاسِ يَفْرَوْنَ أَصْلًا مِنَ الْحُكْمِ، لِيَسَ مِثْلَ الْآنَ. الْإِلَامُ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحِبُّ أَنْ يُرِسَّلَ إِلَى أَبْوَابِ بَيْوَاتِ كُلِّ وَاحِدٍ لِيَجْرِهُمْ خَارِجًا: "عَزِيزِي تَعَالَى، الْعَمَلُ بِاِقِ." "يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دَعَنَا نَبْقَى هُنَا! مَعَنَا مِكْنَسَةٌ".

فَيَقُولُ الْإِلَامُ: "اَذْهَبْ إِلَى هُنَاكَ، لَدِينَا عَمَلٌ وَحْيَاةٌ". هَكَذَا يُرِسَّلُ الْإِلَامُ وَرَاءَ الْأَفْرَادِ، بِالْقُوَّةِ يُرِسِّلُهُمْ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ، مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَسْعَى وَرَاءَ الْحُكْمِ بَعْدَ ذَلِكَ؟! لَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ طَعَامًا شَهِيًّا يَتَنَازَعُ عَلَيْهِ بَعْدَ الْآنَ. هُوَ الْآنُ طَعَامٌ شَهِيًّا يَتَنَازَعُ عَلَيْهِ حَتَّى الْأَعْمَاقِ، وَلَكِنْ فِي زَمَانِ الْإِلَامِ الْمَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ لَا يَكُونُ أَصْلًا طَعَامًا شَهِيًّا، أَبَدًا. الْمَسْأَلَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي ذِهَنِ الْإِنْسَانِ هِيَ أَنْ تَكُونَ يَدُ الْوَلَايَةِ فَوْقَ رَأْسِهِ، فَقْطُ هَذَا. الْأَمْرُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَدْوُرُ فِي ضَمِيرِ الْجَمِيعِ - طَبَاعَ الْمَرَاتِبِ وَشِدَّةِ الْوَضْعِ وَالْعَرَفَاءِ بَنَحْوِ آخَرِ - هُوَ أَنْ تَكُونَ يَدُ الْإِلَامِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَلَا يَبْلِي بَشِيءَ غَيْرَ هَذَا.

الْحَجَّةُ: الْإِسْتِنَاءُ الْوَحِيدُ مِنْ قَاعِدَةِ الْكَثْرَةِ

إِذَا، هَذِهِ الْأَعْمَالُ الَّتِي نَقْوُمُ بِهَا، كُلُّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ لَهَا جَانِبٌ كَثِيرٌ فِي هَذِهِ الرُّؤْيَا وَفِي هَذَا الْوَضْعِ، لَهَا جَانِبٌ كَثِيرٌ. فَمَا دَامَ هَذَا الْفِكْرُ وَالْمَشَاعِرُ وَهَذِهِ الْإِدْرَاكَاتُ مُوْجَدَةً، فَإِنَّا نَرِى الصَّلَاةَ مِنَّا، وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ مِنَّا، وَالْإِنْفَاقَ مِنَّا، نَحْنُ أَنْفَقَنَا مِنْ جِيوبِنَا، هَا! اَنْتَهُوا! أَنَا أَعْطَيْتُ وَهُوَ لَمْ يُعْطِ! مَا دَامَتْ هَذِهِ الْأَفْكَارُ مُوْجَدَةً فَهَذِهِ الْأَمْرُورُ مُوْجَدَةٌ. وَلَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ جَانِبٌ كَثِيرٌ وَلَيْسَ فِي اِخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ هُوَ مَسْأَلَةُ الْمَحَبَّةِ. فِي مَسْأَلَةِ الْمَحَبَّةِ لَا مَعْنَى لِلْكَثْرَةِ. أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ وَاحِدًا، حُبًّا قَلْبِيًّا، هَلْ يَسْتَطِعُ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَرِضَ وَيَقُولَ: لِمَاذَا تُحِبُّنِي؟ لَا! لِمَاذَا؟ لَأَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَحْتَمِلُ الْكَثْرَةَ. هَلْ إِذَا أَحَبَّ الْإِنْسَانُ وَاحِدًا يَنْزَعِجُ مِنْهُ الْمَحْبُوبُ وَيَكْرُهُ مِنْهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ؟! دُونَ أَنْ يَتَشَبَّثَ بِهِ، فَالبعْضُ لَدِيهِمْ مَحَبَّةٌ يُخْرِجُونَ بِهَا رُوحَ الْإِنْسَانِ! لَا!. يُحِبُّهُ دُونَ أَنْ

عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَصَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ، وَ كَمْلَتْ بِهِ أَخْلَامُهُمْ».

يتَشَبَّثُ بِهِ وَيَتَّصِلُ بِهِ. فَبعضُهُمْ اتَّصلَ بِالسَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَةَ وَالنِّصْفَ لِيَلَّا فِي الشَّتَاءِ، الْعَامِ الْمَاضِي، اتَّصلَتْ سَيِّدَةٌ مُحَترَمَةٌ تَقُولُ: "سَيِّدُنَا اشْتَقْتُ إِلَيْكُمْ، أَرَدْتُ أَنْ أُسْلِمَ عَلَيْكُمْ". فَقُلْتُ: "شُكْرًا جَزِيلًا، أَشْكُرُكَ! وَلَكُنِّي أَمْلَأُ أَلَّا تَشْتَاقِي إِلَيْنَا هَكُذا مَرَّةً أُخْرَى. فَالشَّوْقُ السَّاعَةُ ١٢:٣٠ مَسَالَتُهُ مُخْتَلِفٌ! هَلْ يَتَّصِلُونَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَةَ وَالنِّصْفَ لِيَقُولُوا: "سَيِّدُنَا أَرَدْنَا أَنْ نُسْلِمَ عَلَيْكُمْ"؟ مِنَ الْجَيِّدِ لِلإِنْسَانِ عِنْدَمَا يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مَجْبَتُهُ مَقْرُونَةً بِالْتَّدْبِيرِ وَالْتَّعْقُلِ وَالْتَّحَمُلِ. رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِذَا أَحَبَ الرَّجُلُ أَخاهُ فَلِيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُهُ"**^١. لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. قَالَ: "إِذَا أَنْفَقْتَ فَلَا تَعْلَمُ شَمَائِلَكَ مَا تُنْفِقُ يَمِينُكَ"^٢، "إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَلُّوا فَاسْعُوا أَلَّا يَكُونَ فِيهَا رِيَاءً"، "إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَحْجُجُوا فَلَا ضَجْيجٌ وَفُلَانٌ وَمَجِيءٌ وَذَهَابٌ وَذَبْحٌ خِرَافٍ وَ...!". الْبَعْضُ يَذَهَّبُونَ وَيَتَّفَقُونَ مَعَ الْقَصَّابِ وَيَأْتُونَ بِخِرَافِ الْقَصَّابِ وَيَذَبَّحُونَ وَاحِدًا وَاحِدًا عَنْ كُلِّ مُفْتَرِقٍ طُرُقٍ، ثُمَّ يَذَهَّبُ هُوَ وَيُعَلِّقُهَا فِي مَحَلِّهِ: "الْحَاجُ فُلَانٌ ذَبَحَ ثَمَانِيَةَ خِرَافٍ". لَافِتَاتُ تُعلَقُ. "نُرَحِبُ بِمَقْدَمِ السَّيِّدِ فُلَانٍ وَالسَّيِّدَةِ فُلَانِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَورَةِ وَبَيْتِ الْوَحِيِّ". هُؤُلَاءِ جَمِيعًا كَانُوا يَتَجَوَّلُونَ فِي سُوقِ أَبِي سُفِيَّانَ وَأَحْيَاءَ مَكَّةَ، فَمَا هَذَا التَّرْحِيبُ؟! هَذِهِ كُلُّهَا أَلَا عِيْبُ. الإِنْسَانُ الَّذِي يَذَهَّبُ إِلَى مَكَّةَ لَا يُحِدِّثُ ضَجْيجًا. نَعَمْ! قَبْلَهُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَوْدِيعٌ وَبَعْدَهُ يُحِبُّ أَنْ يُقْيِمَ وَلِيمَةً وَهِيَ سُنَّةً، وَلَكِنْ هَذَا الضَّجْيجُ وَاللَّافِتَاتُ لَا معْنَى لَهُ.

وقفة مع بعض عادات التعزية بالأموات

تمامًا كَمَا يَحْرِي فِي الْمَآتِمِ، فَعِنْدَمَا يُشارِكُ الإِنْسَانُ فِي مَآتِمِ، يَرَى حَوْلَ الْمَسْجِدِ كُلَّهُ لَافِتَاتٍ أَنَّ "أَصْحَابَ الْمَهْنَةِ الْفُلَانِيَّةِ يُعَزِّزُونَ السَّيِّدَ فُلَانًا بِوَفَاتِهِ وَالِدَّةِ زَوْجِهِ عَمَّةِ خَالِهِ ابْنِ عَمٍّ حَفِيدَ أَفْرَاسِيَابَ"، وَمَوْظِفُو كَذَا عَزَّرُوا، وَالآخَرُونَ هَنَّوْا...^٣

^١ صحيح أبي داود، الرقم: ٥١٢٤

^٢ صحيح البخاري الرقم: ٦٨٠٦ سبعة يُظلمُهُمُ اللَّهُ فِي ظَلَّهُ يَوْمَ لَا ظَلَّ إِلَّا ظَلَّهُ... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمْ شَمَائِلَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ.

كُلُّ مَحَالِسِنَا أَصْبَحَتْ مَسَرَّحاً وَلَافِتَاتٍ وَأَقْمِشَةً، وَالذِّينَ يَجِلِسُونَ فِي الْمَأْتِمَ بَدَلاً مِنْ أَنْ يَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَيَطْلُبُوا الرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، يَحِبُّ أَنْ يُدِيرُوا أَعْيُنَهُمْ وَيَقْرَؤُوا هَذِهِ اللافتاتِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً: بِائِعُو الْمَسَامِيرِ وَالْقَصَابِونَ وَبِائِعُو الْلَّبَنِ وَ... عَزَّوا...¹ فِيمَا هَذِهِ السُّخْرِيَّةُ؟! لِمَاذَا؟ لِأَنَّ كُلَّ هُؤُلَاءِ فِي الْكَثَرَاتِ حَسَنًا يَا هَذَا قُومٌ وَاقْرَأُ الْحَمْدَ وَالسُّورَةَ مُثْلِ النَّاسِ وَاذْهَبْ، وَلَا دَاعِيَ لَهُذِهِ الْأَلَاعِيبِ، فَلَا لَافِتَاتٍ وَلَا زَهُورًا! اقْرَأْ فَاتِحَةً لِيَصِلَ شَيْءًا لِذَلِكَ الْمَيِّتِ الْمِسْكِينِ. كُلُّنَا عَالِقُونَ فِي هَذِهِ الْكَثَرَاتِ، كُلُّنَا فِي هَذَا الْمَجِيَّهِ وَالْذَّهَابِ. لَا مَحَالِسِنَا فِيهَا رُوحٌ، وَلَا نُورٌ، وَلَا فِيهَا تَقوِيَ! أَحَدُهُمْ أَخَذَ الْمِيكْرُوفُونَ بِيَدِهِ، وَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ يَقُولُ عَنْهُ: "لِأَجْلِ سَلَامَةِ السَّيِّدِ فُلَانِ صَلَّوا عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ"، "فَلِيَتَفَضَّلِ الْأَسْتَاذُ فُلَانُ بِقِرَاءَةِ بَضْعَةِ آيَاتِ مِنَ الشِّعْرِ"، وَ"ذَلِكَ السَّيِّدُ أَفَادَنَا، وَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا!". فَمَاذَا حَدَثَ؟ حَقًا مَاذَا حَدَثَ؟! كُلُّ مَحَالِسِنَا تَحَوَّلُتْ إِلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَالْكَثَرَاتِ.

سَرَّ التَّأْكِيدِ عَلَى إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ

الشَّيْءُ الْوَحِيدُ مِنْ بَيْنِ كُلِّ هَذَا، نُفِقْ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ، نُصَلِّي وَلَا تُعْلَمُ، نَصُومُ وَلَا تُظَاهِرُ، نَحْجُ وَلَا يَكُونُ تُظَاهِرُ، الْحَجُّ يَعْنِي أَصْلًا الْاِخْتِفَاءَ، تَدْفَعُ الْخَمْسَ وَلَا يَحِبُّ أَنْ تُعْلَمَ، تَدْفَعُ الرَّزْكَاهَ، فَأَعْطِهَا خُفْيَهَةً. فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَمْوَالِ نَرَى جَانِبَ الْإِخْفَاءِ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: "اذْهَبْ إِلَى مَنْ تُحِبُّهُ وَقُلْ لَهُ". لَمْ هَذَا؟ فَالَّذِي تُحِبُّهُ وَصَدِيقُكَ الَّذِي تُحِبُّهُ وَتَكُنَّ لَهُ مُحِبَّةً، قُلْ لَهُ: "أَنَا أُحِبُّكَ، أَشْتَاقُ إِلَيْكَ، اللَّهُ تَعَالَى أَلْقَى مَحَبَّتَكَ فِي قَلْبِي". لِمَاذَا؟ لَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ، لَيْسَ لَدِيهِ عِلْمُ الْغَيْبِ. بِمُعْجَرِدِ أَنْ تُظَهِّرَ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ، هُوَ أَيْضًا سَيِّدُ فِي نَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ الْحَالَةِ نَحْوِكَ. عِنْدَمَا يُصْبِحُ الْأَمْرُ مُتَبَادِلًا، تَحَدُّثُ الْأَلْفَةُ بَيْنَ الْقُلُوبِ. الشَّيْءُ الْوَحِيدُ فِي عَالَمِ الْكَثِيرِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ جَانِبٌ كَثِيرٌ وَذَكَرٌ أَعْظَمُ هُوَ مَسَأْلَةُ الْمَحَبَّةِ. أَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَمْرَ يَحِبُّ أَنْ تُؤَجِّلَهُ لِلْعَامِ الْقَادِمِ إِذَا وُفِّقْنَا، كَيْفَ أَنَّهُ لَا تَوْجِدُ كَثْرَةً فِي مَسَأْلَةِ الْمَحَبَّةِ، وَلَكِنَّ سَاعِرِّضُ رِوَايَةً عَلَى الرُّفَقاءِ لِيَعْرِفُوا

¹ هذا من العادات الشائعة في إيران، فإذا توقي أحد هم علّق أصحابه على جدران بيته هذه اللافتات وعندما يقام له مجلس عزاء في المسجد تعليق أيضًا أمام المسجد لافتات مشابهة وتختلف كثرة وقلة بحسب المستوى الاجتماعي للمتوفى. (م)



قدَّرَ هذه المَحَبَّةُ وَيَعْلَمُوا لِمَا اخْتَارَ الْإِمَامُ السَّجَادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَحَبَّةَ مِنْ بَيْنِ الصَّفَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَظَاهِرَ فِي الْإِنْسَانِ.

حَدِيثُ قَدِيسٍ: مَنْ تَكُونُ جَنَّةُ اللَّهِ؟ وَمَنْ يَخْتَصُّ اللَّهُ بِذَاتِهِ؟

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِ: «ذِكْرِي لِلَّذَاكِرِينَ، وَجَنَّتِي لِلْمُشْتَاقِينَ، وَأَنَا خَاصَّةٌ لِلْمُحِبِّينَ»^١. ذِكْرِي لِمَنْ يَذْكُرُنِي، وَجَنَّتِي لِمَنْ يَشْتَاقُ إِلَيَّ، وَأَنَا خَاصَّ لِلْمُحِبِّينَ، أَنَا مِلْكُ الْمُحِبِّينَ، أَوْلَئَكَ الَّذِينَ يُحِبُّونِي. أَوْلَئَكَ الَّذِينَ يَشْتَاقُونَ إِلَيَّ أُعْطِيهِمُ الْجَنَّةَ، وَأَوْلَئَكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونِي أَذْكُرُهُمْ، وَلَكُنْ لِمَنْ أَنَا كُلُّيَاً؟ تَحْتَ تَصْرُّفِ مِنْ وَضَعْتُ وُجُودِي؟ تَحْتَ تَصْرُّفِ الْمُحِبِّينَ وَأَوْلَئَكَ الَّذِينَ يُحِبُّونِي. وَصَلَّتِ الْمَسْأَلَةُ إِلَى هُنَا، الآنَ لَا نَعْلَمُ هُلْ سَيَكُونُ هَذَا الْمَجْلِسُ غَدًا لِيَلًِا أَمْ لَا، عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَصَلَّنَا بِالْأَمْرِ إِلَى هُنَا، وَلَكُنْ بِخُصُوصِ مَسَأَلَةِ الْمَحَبَّةِ، ظَاهِرًا لَا أَعْلَمُ هُلْ لَدِينَا تَوْفِيقٌ لِلْحَدِيثِ عَنْهَا مَرَّةً أُخْرَى أَمْ لَا؟! عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَصَلَّنَا إِلَى مَكَانٍ جَيِّدٍ، وَفَهِمْنَا هَذَا الْمِقْدَارَ. فَلِمَاذَا لَمْ يَحِسِّبْ الْإِمَامُ السَّجَادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِسابَ الْأَعْمَالِ وَلَمْ يَعِرِضْهَا كَشْفِيْعٌ عَنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْعَمَلَ لِهِ جَانِبٌ اِنْتِسَابٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، أَنَا أَقْوَمُ بِهَذَا الْعَمَلِ وَإِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. إِنْ لَمْ أَرَ الْعَمَلَ مِنِّي، فَلِمَاذَا أَعْرِضُهُ؟ إِنْ لَمْ أَرَهُ مِنِّي وَرَأَيْتُهُ ظُهُورًا لِهِ، فَلِمَاذَا يُحِبُّ أَنْ أَعْرِضُهُ؟ إِنْ رَأَيْتُهُ مِنِّي وَنَسَبْتُهُ إِلَى نَفْسِي، فَحَسَّنَّا الشَّيْءُ الَّذِي يُنَسِّبُ إِلَى النَّفْسِ لِهِ، فَلِمَاذَا يُحِبُّ أَنْ أَعْرِضُهُ؟ لَوْلَا كَثُرَتِي كَثُرَتِي، هِيَ تَعَلُّقٌ لَا يَصْلُحُ لِلْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَلَكُنْ مَسَأَلَةُ الْمَحَبَّةِ مَسَأَلَةً لِيَسَ لَهَا جَانِبٌ كَثُرَتِي، هِيَ تَعَلُّقٌ وَهِيَ رَبُّ يَحْصُلُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَلْ يَسْتَطِيْعُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ: "لِمَاذَا تُحِبُّنِي؟! عَبْدًا تَحْبِّنِي!". لَا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَقُولَ. سَيَقُولُ لَهُ الْعَبْدُ: "أَنْتَ جَعَلْتَ فِي هَذِهِ الْمَحَبَّةِ، فَهَذَا أَفْعَلُ أَنَا؟".

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا الْعَمَلَ".

يَقُولُ الْعَبْدُ: "الْتَّوْفِيقُ وَالْهِمَّةُ مِنْكَ". عَنْدَمَا لَا يَعْقِلُ شَيْءٌ، تَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ مَسَأَلَةُ الرَّبْطِ. يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَرِى كَمْ هُوَ هَذَا الرَّبْطُ. لَذَا يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنٍّ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ بِي، إِنْ كَانَ خَيْرًا

^١ بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٤٢: عدة الداعي: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود من أحبّ حبيباً صدق قوله، ومن رضي بحبيب رضي فعله، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه، يا داود ذكري للذاكرين، وجنتي للمطيعين، وحبي للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين.

فَخَيْرًا^١. أتعاطى مع عبدي حسب مقامي في قلبه، فكم لديه من تعلق بي ومحبة لي؟ كم يعتمد علىي؟ إذا ظنني فرداً وذاقاً قاسية القلب وقهارة وغير مبالغة وغاضبة وحقدة وأهل جزاء وهذه الأمور، فأنا لا يعجبني هذا العبد لأنني لست هكذا. وإذا ظنني عبد محباً له وعطوفاً ورؤوفاً ومتساحماً وغفوراً وغافراً، فسأكون أنا أيضاً كذلك. إذا، عندما يكون الأمر على هذا، فلماذا لا يتعلق الإنسان بمثل هذه الذات؟ لماذا لا يحب مثل هذه الذات؟ ولماذا لا يعشقها؟ لماذا يقوم بالأعمال عن إجبار؟ لماذا لا يكون ذلك عن رغبة ومحبة وعشيق؟!

"وان أدخلتني النار أعلمت أهلها أني أحبك": ذروة التعلق بالمحبة

أمير المؤمنين عليه السلام حقاً عجيب، يقول الإمام في المُناجاة الشعbanية: «وَإِنْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ أَعْلَمُ أَهْلَهَا أَنِّي أُحِبُّكَ».^٢ إذا أقيمت في النار فسأخبر أهلها جميعاً بأنني كنت أمثل صفة لا يستطيع الله تعالى إنكارها، وهي أنني كنت أحبك. فأي حال في نفسه يعبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفقرة؟ فامير المؤمنين عليه السلام عندما يقول هذا، هو في حالة لا يرى فيها سوى جانب المحبة التي في قلبه تجاه الله تعالى كرأس المال الوحد والمدخر الوجودي الوحد، ولا يرى شيئاً آخر. الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يمثلون أفلاماً، بل كانوا يحكون حالاتهم، أي ما في ضميره يعبر عنه. أمير المؤمنين عليه السلام يُناجي الله تعالى، والآن وصل إلى اسماعينا ونحن نقرؤه أيضاً. في ذلك الوقت الذي كان الإمام يُناجي الله تعالى، لم يكن يبحث عن تزيين للعبارة، كان يعبر عن حاله في ذلك الوقت. وبعد ذلك، ببركة وجودهم، وصلت هذه الأمور إلينا ونحن نقرؤها أيضاً. فالإمام السجاد عليه السلام لم يأت ليعلن دعاء أبي حمزة للجميع في وسائل الإعلام مثلك، كل كلمة نقولها يجب أن تنشر في العالم كله غداً. هم لم يكونوا هكذا! فالإمام السجاد عليه السلام كان يقرأ دعاء أبي حمزة، وببركة الأئمة عليهم السلام وصل دعاء أبي حمزة هذا إلينا، كتبه الأصحاب ووصل إلينا. أدعية الإمام السجادي عليه

١ الكافي ج ٢، ص ٧٢.

٢ بحار الأنوار، ط إحياء التراث، ج ٩١، ص ٩٨.

السلامُ كُتِبَتْ، ووصلَتْ إلينا الصَّحِيفَةُ السَّجَادِيَّةُ. الآنَ فلنَنْظُرْ نحنُ إلَى حاصلِهِ في ذلِكَ الوقتِ
 الذي كانوا يقرؤونَ فِيهِ ذلِكَ الدُّعَاءَ. هذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «أَعْلَمْتُ أَهْلَهَا أَنِّي
أُحِبُّكَ». أَنَا كُنْتُ أُحِبُّكَ. كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذلِكَ الوقتِ تَعْلُقٌ بِاللَّهِ تَعَالَى بِحِيثِ
 كَانَ يَرَى أَنَّ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَرِبِطُهُ بِاللَّهِ هُوَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى. هَذِهِ الْمَحَبَّةُ
 هِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ، وَفَقْطُ هَذَا وَلَا شَيْءَ آخَرُ، وَهُوَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى بُكَائِهِ، وَلَا عَلَى صَلَاتِهِ،
 وَلَا عَلَى مُنَاجَاتِهِ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، بَلْ يَقُولُ فَقْطًا: يَا اللَّهُ، هَذَا لَا يُمْكِنُكَ إِنْكَارُهُ، أَنِّي كُنْتُ
أُحِبُّكَ. وَلَكِنَّنَا هُنَا نَقُولُ شَيْئًا آخَرَ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَادِقٌ فِي مَحَبَّتِهِ أَيْضًا. نَحْنُ نَقُولُ:
 "نَقُولُ إِنَّنَا نُحِبُّكَ". إِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "لَا! أَنْتَ تَقُولُ مَحَازًا". نَقُولُ: "يَا اللَّهُ، صَحِيحٌ، رَبِّنَا تَكُونُ
 مَحَبَّتُنَا هَذِهِ مَحَازِيَّةً". إِذَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ مَحَبَّةً صَادِقَةً، فَلَهَا أَمْوَرٌ وَآثَارٌ - وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَعْدُكُمْ بِبِيَانِهَا
 فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ فِي ذَمَّتِي لِلرُّفَقاءِ - وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ الْمَحَازِيَّةُ، هَلْ يُمْكِنُكَ إِنْكَارُهَا أَيْضًا أَمْ
 لَا؟ هُمْ بِكَرَمِهِمْ يَقْبَلُونَ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ وَإِنْ كَانَتْ مَحَازِيَّةً، وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً، لَا أَلَا
 تَكُونَ مَوْجُودَةً، فَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ الْمَحَازِيَّةُ يَقْبَلُوهَا هُمْ أَيْضًا.

نَأْمُلُ بِبَرَكَةِ أَنفَاسِ الْأَعْظَمِ الْمُقَدَّسِ فِي حَضَرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَطَافِ وَعِنَایَاتِ صَاحِبِ مَقَامِ
 الْوَلَايَةِ، أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ تَعَالَى مَحَازِاتِنَا إِلَى حَقِيقَةٍ، وَيَجْعَلَ أَفْكَارَنَا وَأَفْهَامَنَا أَفْكَارًا صَحِيقَةً وَتَفْكِيرًا
 صَحِيقًا، وَيَجْعَلَنَا مُتَّعِينَ حَقِيقَيْنَ وَمُسْتَنِينَ بِسِيرَةِ وَسُنْنَةِ أُولَيَاءِ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ